

البروفيسور عبد الكاظم العبودي
"قائمة الضحايا تظل مفتوحة ما لم نجد خارطة التجارب النووية"

المصدر جريدة الخبر الجزائرية بتاريخ المقال 2006/11/21

أكدت في كتابك "بشر نعم، فئران مخبرية لا"، أن التجارب النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية كانت جرائم حرب. كيف يجب أن نتعامل مع هذا الملف كملف تاريخي، لأن الإشعاع المؤين الصادر عن مواد التلوث عمره أولاً يجب أن لا نتعامل مع هذا الملف كملف تاريخي، لأن الإشعاع المؤين الصادر عن مواد التلوث عمره الزمني 5,4ملايين سنة، وتليه مجموعة من نتائج هذا التحلل النووي المستمر لمركبات كيميائية مشعة، بعضها يصل إلى آلاف السنين. إذا الملف هو ملف المستقبل. وإذا كنا نترحم على أرواح ضحايا التجارب النووية الفرنسية في الصحراء، فعلياً أن نتحلى بشجاعة ونترحم على أرواح شهداء المستقبل المجهولين الذين لم يولدوا بعد، لأن الكامن في الشفرة الوراثية للإنسان "الجينوم" أو في النبات أو في الحيوان من مكونات البيئة، حافل بالتغيرات والطفرات والأمراض. ومنه ما هو حافل كامن ومنه ما هو ظاهر. وبالتالي، على كل من يكذب هذه الحقائق ممن ساهم أندريه غازييه في فيلمه الوثائقي المعنون "المتطفلون على الذرة" - وهو يقصد الفرنسيين - أن يتوجهوا معنا إلى المنطقة لينينعموا بحمام إشعاعي وليس بحمام شمسي. وعليهم أن يفكروا أيضاً في الضحايا السابقين والجدد وضحايا المستقبل. وفي ظل بقاء الأرشيف النووي الفرنسي مغلقاً أمام الباحثين الجزائريين، ما السبيل لدراسة حجم الكارثة المحتملة مادام الخطر باقياً كما أشرت؟

هذا الملف ورغم خطورته لم يمتلك وإلى اليوم مرجعية للقياس، سواء من الإحصائيات أو من المعلومات أو الخرائط التي تبين مدافن النفايات. وبالتالي أي تسجيل جديد يبقى مقطوع الصلة مقارنة مع ما حدث قبل أربعين سنة. ولكن كما يقال فيزيائياً الإشعاع يطبع نفسه في كل لحظة، من خلال تسجيل طاقته الكامنة في المزداد الملوثة في التربة وفي المحيط الحيوي، وبما يسجل من السرطانات المتنوعة.

هل هناك هيئة ترصد هذه الأخطار في المنطقة؟

بكل أسف لا. وإذا لم توفر مراكز وطنية طبية وفيزيائية متخصصة تسجل على مدى السنة كل الظواهر والحالات وتوثيقها توثيقاً يشكل قاعدة المعلومات التي سيستند عليها مركز وطني عام، هذا المركز الوطني مازال في رحم التصورات في أذهان الباحثين، دون أن يكون له وجود فعلي على أرض المنطقة في ريفان أو في تمنراست، حيث تتباعد المعطيات والملاحظات والتسجيلات التي يصل إليها الباحثون كما عملت على ذلك دول عديدة.

هذه المعطيات الناقصة التي بحوزتكم حول الملف النووي في صحراء الجزائر، هل قتمت بإبلاغها للهيئات المعنية؟

قدمنا جزءاً مهماً من البحوث التي أجريناها مع الزملاء في الملتقيات الوطنية، وقد ضمها ملف التجارب النووية في الجزائر المنشور. ولي بحث في الموضوع نشر في الملتقى العالمي حول أسلحة الدمار الشامل في هامبورغ في أكتوبر 2003، حيث قدمت تفاصيل عن الواقع الصحي والبيئي من خلال عينات درست حال الإبل في المناطق الملوثة من الصحراء الجزائرية ومقارنتها مع مناطق أخرى.

ماذا وجدت من خلال هذا البحث بالذات؟

أخذت مجموعة من الجمال من منطقة "عين مفل" التي تبعد بحوالي 100 كلم عن جبل "إينكر" وهي منطقة التجارب النووية الفرنسية الباطنية، حيث ظهرت عشر حالات من الإصابة بسرطان الدم لدى الجمال، إضافة إلى تغيرات واضحة في النشاط الأنزيمي والهيماتولوجي لديها.

هل هناك دراسات في الموضوع أكثر عمقا واتساعا؟

هناك دراسة مهمة في الموضوع نعدّها حالياً بالتعاون مع المركز الوطني للدراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية، في إطار مشروع بحث مخصص لموضوع الأسلحة المحرمة دولياً في العهد

الاستعماري، استندت إلى ثماني دراسات عليا في جامعة وهران، أعدها طلبة من أبناء رفان في قسم الكيمياء الحيوية.

ما هي نتائج هذه الدراسة المعمقة؟

الدراسة قامت بتحليل أكثر من ألف عينة أخذت على مدى السنوات العشر الأخيرة، وتشير إلى أن ثمة تغيرات وأمراضا لا يمكن إلا أن تكون مرتبطة بحالات من التعرض الإشعاعي. وقد أوضحنا هذا في مقال نشر في "الخبر" تحدثت فيه عن الضحايا من عمال المناجم في أدرار، وأشرنا حينها إلى أنها حالة قتل بالإشعاع في منطقة يجهل ضحاياها السير بها، وكان يجب توثيقها طبيا وعلميا كعقبات تشير إلى حالات موت إشعاعي جراء التجارب النووية في المنطقة.

فيم تتمثل الأمراض الناجمة عن التأثير بهذه الإشعاعات المؤدية في نهاية الأمر إلى الموت؟

هناك معادلة طبيعية في الموضوع، كل أثر إشعاعي على خلية حية يعني تشوه في بناء "الدنا"، وتختلف نتائجها من سرطان الدم، ونقص الخصوبة، والإجهاض المبكر، وتشوهات خلقية والإصابة في الغدة الدرقية والعجز الكلوي وسرطان الرئة، وأحيانا إصابات في العين. وهناك حقيقة تقول إن إصابات السرطان في المناطق المتعرضة للإشعاعات عالية مقارنة بالمناطق الأخرى. هناك أسئلة عديدة في هذا الشأن، ولن يجاب عنها إلا عن طريق إنشاء مركز وطني للإصابة بالسرطان.